

برنامج أنوار كاشفة الرسالة إلى غلاطية الحلقة الخامسة والعشرون

أهلاً ومرحباً بك صديقي المستمع في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. نتابع اليوم دراستنا لرسالة الرسول بولس إلى المؤمنين في غلاطية، حيث عالج الرسول بولس مشكلة هامة واجهت الكنيسة عند نشوئها. أما هذه المشكلة فكانت علاقة المؤمنين في المسيح بالشرعية، أي بالناموس الذي أنزله الله قديماً على كلميه النبي موسى. وإن كان يجب عليهم لكي يخلصوا أن يعملوا بهذه الشرعية، ويمارسوا فريضة الختان أو التطهير. وهذا ما كان قد علم به بعض المعلمين المسيحيين من أصل يهودي.

فردّ عليهم الرسول بولس مؤكداً أن الإنسان يتبرر بالإيمان فقط، وأن موعد الله لإبراهيم الذي تبرر بالإيمان قد تمّ بمجيء المخلص المسيح. واعتبر بولس أن عهد الناموس كان عهداً شرطياً ومؤقتاً. وكشف أنه في الوقت المعين أرسل الله المسيح. ثم تحدث عن الفرق الكبير بين عهدي الناموس والنعمة. وتحدث أيضاً عن عثرة الصليب بالنسبة لليهود. وكنا قد أجبنا عن التساؤلات حول حقيقة حادثة صلب المسيح، فتحدثنا عن ستة براهين تؤكدها. ثم أشرنا إلى بعض الإدعاءات وأجبنا عليها. وذكرنا أن الله سمح بصلب المسيح لأنه قد أرسله لهدف التكفير عن ذنوبنا.

ودعا الرسول بولس المؤمنين لكي يثبتوا في الحرية التي منحهم إياها المسيح. لكنه حذرهم من استغلال هذه الحرية لإشباع شهوات الجسد. وطلب منهم أن يسلكوا بالمحبة، لأن الناموس كلّهُ يُلخّص في محبة الإنسان لقريبه. وطلب بولس من المؤمنين أن يسلكوا بالروح القدس، ويخضعوا لقيادته، وعندها يتحرروا من عبودية الناموس أو الشرعية. لأن روح الله يصبح هو المرشد، وهو الذي يحفظهم ويعطهم القوة لينتصروا على الخطية.

ثم انتقل الرسول بولس للحديث عن أعمال الجسد التي تقوم بها الطبيعة البشرية الساقطة من جهة، وعن ثمر الروح القدس الذي يأتي نتيجة للطبيعة الروحية الجديدة في الإنسان المؤمن من جهة أخرى. فكتب قائلاً: "وأعمال الجسد ظاهرة التي هي زنى عاهرة نجاسة دعارة. عبادة الأوثان سحر خصام غيرة سخط تحزب شقاق بدعة. حسد قتل سكر وأمثال هذه التي أسبق فأقول لكم عنها كما سبقت فقلت أن الذين يفعلون مثل هذه لا يرثون ملكوت الله." (غلاطية: ٥: ١٩-٢١)

تحدث هنا الرسول بولس عن أعمال الطبيعة البشرية الساقطة الموجودة في كل إنسان. فهذه الطبيعة الشريرة نولد فيها. ألم يقل النبي داود: "هأنذا بالإثم صورت وبالخطية حبلت بي أمي."؟! (مزمو ٥١: ٥) ولقد ورثنا هذه الطبيعة الشريرة عن أبينا آدم، الذي عصى الله. فكما كتب الرسول بولس أنه بإنسان واحد دخلت الخطية إلى العالم، ونتيجة الخطية الموت، وهكذا اجتاز الموت إلى

جميع الناس إذ أخطأ الجميع. وهذه الطبيعة الشريرة هي التي تنتج ما سمّاه الرسول بولس بأعمال الجسد. فأجسادنا تسيطر عليها الشهوات الشريرة والنزوات الفاسدة. فنرى الناس تفعل أعمال الشر الفاسدة التي ذكرها الرسول بولس. كالزنا والقتل والسرقعة والسحر والسُّكر، أو الشهوة والخصام والحسد والعداوة والغضب والكذب والشتائم، إلى غيرها من أعمال الشر. فالخطية مع الأسف تستعبد نفوسنا، ولا نستطيع الهروب منها. لهذا أرسل الله المخلص المسيح لكي يدفع ثمن عقاب خطايانا، وليحررنا من عبوديتها. وهنا ذكر الرسول بولس المؤمنين في غلاطية، بأعمال الجسد الشريرة هذه التي كانوا مستعبدين لها قبل إيمانهم بالمخلص المسيح. وليس هذا فحسب بل دعاهم أن يبتعدوا عن هذه الأعمال، التي هي من سمات غير المؤمنين الذين لا يحق لهم وراثة ملكوت الله. ولهذا دعاهم لكي يسلكوا بالروح، أي بحسب الروح القدس الذي حلّ فيهم بالإيمان.

إن المؤمن بالمسيح كما سبق أن ذكر الرسول بولس، يعيش صراعا يوميا بين الطبيعة الجسدية القديمة وأهوائها الفاسدة التي تريد أن تجذبه إليها، وبين الطبيعة الروحية الجديدة، التي تسعى نحو الحياة المقدسة الفاضلة. ولهذا دعا الرسول بولس المؤمنين لكي يحاربوا شهوات الجسد الفاسدة، ويسلكوا بحسب الروح. أي بحسب مقتضيات الطبيعة الروحية الجديدة التي حصلوا عليها، والروح القدس الذي حلّ فيهم.

بعد أن تحدث الرسول بولس عن أعمال الجسد الفاسدة، عاد ودوّن لقارئيه عن ثمر الروح فكتب قائلاً: "وأما ثمر الروح فهو محبة فرح سلام طول أناة لطف صلاح إيمان وداعة تعفف. ضد أمثال هذه ليس ناموس." (غلاطية ٥: ٢٢ و٢٣) إن ثمر الروح، أي ثمر الروح القدس الذي يحل في الإنسان المؤمن، هو كل ما هو جيد ومفيد وجميل ومقدس وصالح وسام. هذه هي عطية الله الفضلى للمؤمن، فلا توجد أسمى من هذه الفضائل والصفات المذكورة.

إن الروح القدس هو الذي يزيل الكراهية من قلب الإنسان ويحل المحبة مكانها، فيمتلأ قلب المؤمن بالمسيح بالمحبة الحقّة تجاه الله خالقه، ونحو البشر جميعا. فهل هناك أعظم من هذه العطية؟ ويملاً الروح القدس الإنسان المؤمن بالفرح الداخلي الذي لا يوصف، فتحل الغبطة مكان الحزن والألم. ويحل الله بسلامه العجيب في قلب المؤمن الذي لا تبدله الظروف والأحوال. ويتبدل الإنسان من شخص قاس لا يعرف الصبر، إلى إنسان يتحلّى بطول الأناة والصبر واللطف. ومن إنسان شرير إلى إنسان يفعل الصلاح. ومن فرد متكبر متعجرف إلى فرد وديع وهادئ. وليس هذا فحسب بل يملأ الإيمان والثقة بالله قلبه. ويصبح إنسانا متعففا ضابطا نفسه عن كل ما هو شرير وفاسد. وطبعا هناك فضائل وميزات أخرى يهبها الروح القدس لكل مؤمن بالمخلص المسيح.

وختم الرسول بولس تعداده لثمر الروح القدس بالقول: " ضد أمثال هذه ليس ناموس." أي ليس من قانون يمنع مثل هذه الفضائل. طبعا لا، لأن هذه الفضائل مرضية لدى الله وجيدة لنا ومفيدة للآخرين. وأيضا إن الله الذي أعطى الناموس هو نفسه الذي أعطى

الروح القدس. لا بل إن ثمر الروح يتوافق تماما مع القصد من ناموس الله. ولهذا فإن الذي يسلك بثمر الروح يكون أفضل جدا من الشخص الذي يطبق الناموس.

قد تتساءل يا صديقي وهل بإمكان الإنسان حقا أن يتغير رأسا على عقب، ويعيش كل هذه الفضائل السامية؟ والجواب بالتأكيد نعم. وهذا ما تؤكدته اختبارات مئات الألوف لا بل الملايين من البشر الذين آمنوا بالمسيح. وكم من إنسان كان غارقا في أحوال الشر والخطيئة، لكنه عندما آمن بالمخلص المسيح، تحرر من قيود الخطيئة، وحلّ الروح القدس في قلبه، وصار إنسانا جديدا، وتبدلت حياته بالكلية. فأصبح إنسانا محبا لطيفا يملأ الفرح والسلام قلبه، ويتعدى عن فعل الشر ويسلك في طريق الصلاح والخير. وأخذ يشهد عن عمل الله في حياته، مما أثار دهشة واستغراب الكثيرين ممن يعرفونه.

ألا تود مستمعي العزيز أن تحصل أنت أيضا على هذا الاختبار المجيد؟ أن تتحرر من عبودية الخطيئة وتختبر خلاص الله؟ وهكذا تتبدل حياتك بالكلية، وتحصل على كل هذه الفضائل السامية؟ لم لا تأت الآن إلى الله بتوبة صادقة وإيمان قلبي بالمخلص المسيح، الذي مات على الصليب ليكفر عن ذنوبك، وقام من بين الأموات لكي يهبك الطبيعة الروحية الجديدة بواسطة الروح القدس، ولتنتال الخلود.